وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة

الأستاذ أحمد شفيق الخطيب

رئيس دائرة المعاجم في مكتبة لبنان – بيروت

لقد بدا العالم العربي يستعيد ثقته بلغته في مجال المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية واجتازت اللغة العربية بنجاح فترة مخاض عسيرة كان لابد منها ، فقد شهدنا بارتياح نجاح حركات تعريب التعليم الثانوي في معظم البلاد العربية وها نحن نرقب بالامل الفاعل المحاولات الجدية في كثير من هذه الاقطار لتعريب التعليم الجامعي دون ان يعني ذلك التقليل من اهمية اللغات الاجنبية .

وقد كان لجهود مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق ، وحديثا المكتب الدائم لتنسيق الترجمة والتعريب للوطن العربي في الرباط) اكبر الاثر في استعادة هذه الثقة ، فالمجلات الدورية التي تصدر عن هذه الاكاديميات لا تكاد تخلو واحدة منها من ابحاث لغوية بناءة ومصطلحات جديدة في شتى فروع العلم والصناعة . واذكر بهذه المناسبة ان مجمع اللغة العربية في القاهرة وحده قد اضاف الى لغة العلم عندنا في ربع القرن الماضي نيفا وعشرين الف مصطلح في شتى فروع العلم والتكنولوجية . كذلك فان العديد من علمائنا الاعلام امثال بطرس البستاني واحمد فارس الشدياق وخليل سعاده ويعقوب صروف ومحمد شرف واميين المعلوف وانستاس الكرملي ومصطفى الشهابي وسواهم قد تركوا لنا ثروة من مصطلحات العلوم اثبتت ان العربية اليوم قادرة على تأدية الرسالة العلمية والتقنية والحضارية بدقة وضبط كما ادتها من قبل ايام كان المتشوقون الى العلم من طلاب الافرنج يتابعون العلم في الجامعات العربية متخفين بزي الدراويش (1) .

والواقع ان العقد السابع من هذا القرن شهد من المعاجم اللغوية الاحادية اللغة منها والثنائية ، العامة منها والمتخصصة ما لم يشهده عقد في تاريخ العربية على مداه الطويل وانه بالرغم من كل ما تشكو منه المجتمعات العربية من ازمات ومشاكل فان اللغة العربية تشهد في هذا العصر ازدهارا مشجعا نأمل ان تنعكس آثاره على شتى نواحي النشاطات الفكرية والثقافية والتعليمية في مختلف انحاء الوطن العربي.

ان مستقبل المصطلحات العلمية ومستقبلنا العلمي الى حد بعيد مرتبطان بقضية تعريب التعليم لا في المدارس الثانوية فقط بل وفي الجامعات ايضا . وما دام انه قد اصبح لدينا ما نبدأ به فاليوم افضل من غد . وانه لغاية املي ان يكون صدور هذا

(1) راجع صفحة 22 من كتاب :
A Companion to School Mathematics - by F.C, Boon Longmans, London 1960.

المعجم احد العوامل الفاعلة في تحقيق هذا التحول الحضاري، فلا يعقل ان نخوض مجالات العلم الحديث وننعم بمنجزاته وتبقى لغتنا غريبة عن جو العلم وديناميكيته وابداعه وتدفقه . لقد آن ان تصبح اللغة العلمية العربية جزءا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع وان تغدو مصطلحات العلم والحضارة باللغة العربية قسما حيويا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والاديب وصاحب الاختصاص الفني .

لقد مضى وقت كان يمكن ان تبقى صياغة المصطلحات العلمية والفنية فيه مسؤولية المجامع والمؤسسات اللغوية ، ففي كل يوم يغمرنا سيل من الالفاظ والاسماء لمستحدثات الحضارة ومكتشفات العلم في المختبرات والمعامل الكيماوية والفيزيائية والصناعية والفضائية وسواها حتى ان احد المختبرات في بلد متقدم يقدر ما يبتدعه علماؤه من الفاظ جديدة بما يتراوح بين الخمسة عشر والخمسين يوميا ، فلا يعقل والحالة هذه ان تنتظر هذه الالفاظ مواسم اجتماع اللجان المختصة ومناقشاتها وقراراتها، ولابد من فتح المجال للابداع الفردي المنظم لمتابعة الركب العلمي ومواكبته وذلك بقيادة المؤسسات العلمية والمجامع اللغوية ومراقبتها وتوجيهها. ومتى استطعنا الوصول الى المستوى الذي يراجع فيه الاستاذ او المحاضر دراسة علمية باللغة الاجنبية فيقدم لطلابه هذه الدراسة في اليوم التالي بلغة عربية سليمة نكون قد حققنا للغتنا الحبيبة مواكبة العلم لا مراقبته عن بعد فقط .

ان تاريخ وضع المصطلحات العلمية في عصر النهضة الحديثة يشهد بالدور الممتاز الذي اداه المترجمون والمعربون ادباء وصحافيين وواضعي معاجم . وان خير ما تفعله المجامع والمؤسسات اللغوية هو وضع الاسس والقوانين التي يستنار بها في صوغ المصطلحات او تعريبها والقيام بدراسات حول اصول الترجمة والتعريب وتشجيع القيام بمثل هذه الدراسات وتقييمها ونشرها . ويساورني في هذا المجال شعور بأن القرارات الاربعين(2) التي اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة في ربع القرن الماضي تعادل في اهميتها العشرين الف مصطلح التي اتحفنا بها المجمع المذكور خلال المدة ذاتها (ان لم تفقها قيمة) .

ان اللغات التركية والفارسية والعبرية قطعت في ميدان العلوم العصرية اشواطا بعيدة فأصبحت تدرس بها شتى فروع العلم الحديث من طب وهندسة والكترونيات وسواها كما نجحت في ان تكون لغة المؤتمرات العلمية (في الكيمياء والفيزياء والنوويات) التي تعقد في الاقطار الناطقة بتلك اللغات . وقد تسنى لها ذلك بادخال آلاف الكلمات العلمية والتقنية ذات الطابع العالمي ضمن مفرداتها – وهو امر سبقتها اليه العربية في عصر النهضة والانفتاح ايام كان مترجمو دار الحكمة يعربون من الفاظ اليونانية والسريانية والهندية والفارسية الشيء الكثير فيقبضون بدل ترجماتهم وزنها ذهبا ، ونحن اليوم لا نعتبر الفاظا مثل اسطورة واسطول واوقيانوس ونافورة وبند وهندسة وقلنسوة وسواها (وكلها معربة) الفاظا خارجة على الذوق العربي او حاطة بقدر اللغة – بينما تقيدنا في بداية عصر النهضة الحديثة بمحاولة ترجمة الالفاظ والاسماء والمصطلحات العلمية والحضارية بألفاظ عربية وذلك تحت تأثير القائلين بأن في لغتنا لكل شيء مقابلا ، « فهي المحيط الشامل كل منتجات الحضارة ما ظهر منها وما سيظهر ، فما على الباحثين الا الغوص في هذا المحيط لاستخراج دره »

لقد ادى مجمع اللغة العربية في القاهرة خدمة جلى للغة العربية حين حطم الاسطورة القائلة بأن ادخال المعرب من الالفاظ في متن اللغة يحط من قدرها : وفي المعاجم المتخصصة والعامة التي اصدرها المجمع المذكور دليل واضح على الدور المهم الذي يؤديه التعريب في لغة العلم الحديث (3) .

لقد كان التقيد بترجمة الالفاظ والاسماء بألفاظ عربية ذا نتائج سلبية من ناحية وايجابية من نواح اخرى فكانت النتيجة السلبية الرئيسية تحول التعليم العالي في معظم البلاد العربية (والتعليم الثانوي في بعضها) الى تدريس المواد العلمية والرياضية باللغات الاجنبية وهو امر ما زلنا نعاني منه في كثير من البلاد

---

(2) راجع هذه القرارات في الصفحات (742 : ك – ن) من هذا المعجم .

(3) تجد في المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – المئات من هذه الالفاظ المعربة مثل فونوغراف وفرملة وقلاووظ وتلسكوب واسمنت وايتل وانتيمون وبندول وزنك وميكروفون ومرل وميركيركروم ... وسواها .

العربية الاساسية وهو ان فهم المعلومات وهضمها لا يتحققان تربويا الا عن طريق اللغة القومية . لكن هذا التقيد كانت له فوائده ايضا فقد ركز الانظار على ضرورة الاهتمام بالمفردات اللغوية الضائعة التى اغفلها واضعو المعاجم الكلاسيكيون امثال الخليل وابن دريد والجوهري وابن منظور والفيروزبادي كما كانت له نتائجه الخيرة فى تاسيس الندوات والمجامع اللغوية التى قامت بمحاولات طيبة ومثمرة فى مجال تطويع اللغة والاستفادة من مرونة ابواب القياس والاشتقاق فيها فاصبح لدينا من مصطلحات العلم والصناعة اليوم ثروة وتراث نستطيع ان نستند اليهما فى جعل لغتنا القومية تواكب مكتشفات العلم وتجاري منجزات الحضارة الحديثة .

ان الفيض الهائل من كلمات العلم التى تتدفق علينا كل يوم يجعل من عملية الترجمة المطلقة امرا غير عملي ، والقاعدة المنطقية فى الترجمة والتعريب هي ان ما هو اصيل فى اللغة المنقولة يترجم ، اما الالفاظ العالمية التسمية والمشتقة من اليونانية او اللاتينية (كتلفون وتلسكوب وميكروفون وميكروسكوب وتلفزيون) او الموضوعة تخليدا لذكرى عالم او مخترع امثل فلط واوم وكورى وامبير وواط) او المركبة من احرف متعارف عليها دوليا ، مثل رادار وراديك وليزر وميرز وناپالم) فتعرب كما هي (4)

ولكي تصبح لغتنا قادرة على تادية المسميات المعربة بشكل صحيح علينا ان نتساهل فى لغة المصطلحات العلمية والتكنولوجية بالامور التالية :

1 ـ جواز الابتداء بالساكن وهو امر ليس بالغريب على اللهجات العربية قديما وحديثا . ان الابتداء بالساكن فى كثير من الالفاظ المعربة يحتمه ضبط تادية المسميات كما يلفظها الناس فى معظم انحاء العالم ، فنقول كلورات وكروم وغرافيت وترايود وبروتون وبراون وسمث وسبكتروسكوب، اما اضافة حرف الالف عند تعريب الالفاظ الافرنجية التي تبدا بحرف ساكن او تحريك الحرف الساكن نفسه فيهما تحريف لا مسوغ له يبعد منطوق اللفظ عن صورته وبيئته الاصلية ، ف Brown مثلا هو براون لا ابراون ولا براون او براون او براون (بالكسر أو الفتح او الضم)

2 ـ كذلك يجدر بنا التساهل فى امر التقاء الساكنين سواء أكان الامر مقتصرا على ساكنين اثنين ام على عدة سواكن فنقول : مورس وبويل وشارل وباوند ورنتجن وكنفستون وباينت .. الخ .

3 ـ اضافة الحروف الثلاثة ب ، ف ، ج لتؤدى لفظ الحروف اللاتينية V, P ، G (حين تلفظ كالجيم المصرية) فنقول : تلفزيون وفلط وبيسين وناپالم ونجستروم وجاليوم الخ ... وبذلك تصبح لغتنا قادرة على تأدية الألفاظ الأجنبية بصورة مقبولة فنسد الطريق على دعاة التحول الى الحرف اللاتيني او سواه من سبل تحديث اللغة .

ان قضية الاقتصار على مصطلح واحد لمسمى واحد هي قضية متفق عليها نظريا او قل مبدئيا . لكن الاتفاق على تحديد المصطلح هو امر لن يخلو من الاخذ والرد . وما دام باب الترجمة مفتوحا فمجال الاختلاف (ضمن حدود المتوقع طبعا) وارد وليس لاي فرد او جماعة مهما كانت سلطتهم اللغوية ان يشطبوا مصطلحا ليحلوا آخر مكانه نهائيا . فالمستقبل هو الحكم والاستعمال هو الغربال وقد يثبت اكثر من مصطلح امام هذه الغربلة لتى لا تتم فى سنة او اثنين بل تحتاج الى عشرات السنين وتتم عادة بصورة عفوية .

وحين تاتي الترجمات عن مصادر مختلفة فالاختلاف امر طبيعي ، فالذى يترجم المصطلح عن الانجليزية لن تتفق ترجمته دائما مع الذى يترجم المصطلح عن اللغة الفرنسية حين لا يحوى المصطلح جذرا لاتينيا او يونانيا مشتركا . فمثلا المترجم عن الانكليزية يترجم power فى المجال الميكانيكي بـ « قدرة » و force بـ « قوة » بينما الذى يترجم عن الفرنسية معرض لترجمة الفكرتين بـ « قوة » لورود كلمة force فى التعابير الميكانكية الدالة على القوة حينا وعلى القدرة حينا آخر . واحيانا يبدو المرادفان المترجمان للمصطلح الواحد وكأن لا علاقة تربطهما وذلك لاختلاف اسم المصطلح فى اللغات المترجم عنها ، فمثلا فى
ترجم المصطلح ب « مروحة غرينية » وعن الفرنسية ترجم المصطلح ذاته بـ « مخروط الانصباب » عن cône de déjection وفى تعريب nitrogen

(4) انظر البند 32 من موجز قرارات مجمع اللغة العربية فى القاهرة (ص 739 : من هذا البحث) .

قيل « نتروجين » عن الانكليزية و « آزوت » عن azote الفرنسية .

اضف الى ذلك ان موضوع المرادف الواحد لم يتحقق حتى فى اللغة الواحدة من اللغات التى يؤلف فيها العلم حاليا ، فتجد الفيزيائي الاميركي يستعمل electron tube فنترجم عنه « انبوبة الكترونية » بينما يكتب الفيزيائي البريطاني electron valve فنترجم عنه «صمام الكتروني» . وقد يستعمل العلماء فى البلد ذاته مصطلحين مختلفين استعمالا متبادلا فى كلمتي epoch, period فتأتي ترجماتنا (عن مؤلفاتهم) لتلك المصطلحات غير محددة بواحدة منها فنقول : « عصر » تارة و « حقبة » او « حقب » تارة اخرى

ولااريد أن اذهب بعيدا فى هذا الموضوع فقد خطر ببالي وانا اكتب هذه الفقرة ان اراجع بعض المصطلحات المعنية فى معجمين متخصصين فى الجغرافية والجيولوجية صدرا عن مجمع اللغة العربية فى القاهرة (الذي هو دون ريب افعل مؤسسة عربية فى مجالات ايجاد المصطلحات وتطويع العربية وتطويرها) فلاحظت اختلافا بينا فى المرادف العربي للمصطلح الواحد ، وهذه بعض الأمثلة من حرف A :

المرادف العربي فى (معجم الجغرافية)	المرادف العربي فى (معجم الجيولوجية)	المصطلح الانكليزي
سحج	تذرية	ablation
سحج	بري	abrasion
الصخور الغورية	صخور الأعماق	abyssal rocks
رواسب هوائية	رواسب ريحية	aeolian deposits
راهصة بركانية	رصيص بركاني	agglomerate
سهل غريني	سهل طمي	alluvial plane
حدبة	قبو . طيه محدبة	anticline
حدبة متغضنة	تحدب مركب	anticlinorium
طبقة خازنة للماء	مستودع ماء ارضي	aquifer

والاختلاف هنا هو من النوع المتوقع بل لعله هو الأمر الطبيعي فى المرحلة الراهنة ، فقد يكون المرادفان مكملين او مفسرين احدهما للآخر كما هي الحال عادة — ثم ان هذا النوع من الاختلاف لا يخرج المرادف عن نطاق مدلوله العلمي ، وقلما تخلو منه اي لغة عصرية(5)

ولن يكون عسيرا على القارىء الواعي اعادة المرادفين العربيين الى المصطلح الأجنبي المترجم فى اغلب الأحيان .

والذي يدقق النظر فى أعمال مجامعنا العربية (ومجمع اللغة العربية فى القاهرة بصورة خاصة) يلاحظ ان هناك شبه اقتناع بعدم امكانية الاقتصار على مرادف واحد للمصطلح الأجنبي المعين فى الوقت الراهن . ففي الوقت الذي يقر فيه مجمع اللغة العربية فى القاهرة مبدئيا ان :

« الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى » (6).

نجده بعد بضع جلسات يقر مادة اخرى تنص على ان :

« تضاف كل لفظة سرت فى البلاد العربية الى جانب ما وضعته اللجنة المجمعية (7) .

(5) لاحظ مثلا استعمال
muffler, silencer, condenser, capacitor, instrument, tool, generator, dynamo, motor, engine.
حيث تستعمل هذه الألفاظ استعمالات متبادلة فى معظم الاحيان .

(6) مجموعة القرارات العلمية — مجمع اللغة العربية— القاهرة 1963 ، ص 141 .

(7) المصدر أعلاه ص 158 .

والفرق واضح بين ما يجب وبين ما هو عملي فى الوقت الحاضر .

ثم انه ليس من الحكمة فى هذه المرحلة سبك المصطلح واعطاؤه هالة من القداسة تجعله فى منأى عن النقد أو التحوير ، فلا بد ان يبقى باب الاجتهاد مفتوحا لمن يقترح اللفظ الافضل خاصة فيما يتعلق بالمرادفات التي لم تكتسب حظا وافرا من الشيوع او المرادفات التي تشكو نقصا او دقة او ظلا يبعدها عن تأدية معنى المصطلح العلمي أو الفني المقصود ، وهذه ثلاثة أمثلة اخترتها اتفاقا من مجموعة المصطلحات العلمية التي اقرها مجمع اللغة العربية فى القاهرة :

مثلا فى كلمة aneroidograph قيل « المسجل المعدني » (8) ولو قيل « بارومتر معدني ذو مرسمة » او « بارومتر لا سائلي مسجل » لكان افضل لان « المسجل المعدني » يمكن ان يكون اسما لعشرات المعنى .

وفى coaling station «محطة التموين»(9) والواقع ان « محطة التزود بالفحم » اقرب الى اداء المعنى .

وفى كلمة lag قيل « التأخر » (10) ولو قيل « التخلف » لكان افضل لان الكلمة فيزيائيا تعني « التأخر مع بقاء بعض الشيء أو الأثر المتخلف » .

وكذلك فانه حين تتساوى الكلمات من حيث اداؤها للمعنى فان الذوق اللغوي للمترجمين يختلف، فحيث يستعمل احدهم « محشة » و « منجلة » و « منقاش » ، قد يفضل الآخر مرادفات اكثر شيوعا مثل « محراك » و « ملزمة » و « ملقط » . وان الاختلافات التي من هذا القبيل ليست فقط امرا طبيعيا لا بد منه بل انها امر قد يكون مرغوبا فيه . وما دمنا نقبل ان المستقبل هو الحكم وان الاستعمال هو الغربال فذلك سبيل معقول يتمشى والمبادىء العلمية والمنطقية . وحبذا لو تعمل الدائرة الثقافية فى امانة الجامعة العربية بالاقتراح الذي قدمه احد خبراء اليونسكو فى المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد عام 1955 بضرورة انشاء مكتب دائم للمصطلحات العلمية والفنية والتكنولوجية يعمل على نشر هذه المصطلحات ونقدها وتوحيدها .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي والتطور وبقاء الأصلح تجري على الالفاظ والمصطلحات جريانها على الكائنات الحية ـ فاللغة من حيث صلتها الوثيقة بارقى طبقة فى الكائنات الحية هي ايضا كائن يتمتع بخصائص الاحياء ينمو ويتطور ويتكيف وقد تذوي بعض اجزائه فينبت كثير غيرها . ولا بد للغة الحية من مداومة السقيا بعناصر الحيوية والتجدد ، لتساير تقدم الأمة وتماشي احتياجاتها الفكرية والعلمية والاجتماعية والصناعية . اما تخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة متطلبات الحياة فمعناه الجمود ، والجمود ليس من خصائص الاحياء .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي تعمل فى اللغة عن طريق الاستعمال والزمن وتطور الذوق اللغوي العام للأمة . فهناك الفاظ تبدو ضعيفة وتقوى مع الزمن واخرى تبدو قوية سليمة ولا تصمد أمام الاختبار . ان بعض الالفاظ التي كانت مستهجنة عند ما كتب الدكتور محمد شرف مقدمته للطبعة الثانية من معجمه الطبي (1928) مثل هضمين وليفين واسيتون وكيروسين وتلفون وتلغراف هي كلمات مقبولة اليوم بينما زالت او هي فى طريق الزوال كلمات كانت رائجة حينئذ مثل المسرة والارزيز والسفير (للتلفون) والمائة (للهيدروجين) والضريم (للبنزين) والمحر (للأكسجين مرة وللترمومتر اخرى) والمرواز (للبارومتر) والجماز (للترام) والرقين (للدولار أو الريال) والمدره للمحامي ... الخ .

كذلك فان الكثير من المرادفات تعايشت اما مع مرادف عربي آخر مثل «مسحج وفارة ومسحاج» ، و « راتب وماهية ومعاش » ، ومثلها « انتحاء وتأود » ، و « حدبة وقبوة وطية محدبة » او مع المصطلح المعرب كما فى « الامونيا والنشادر » ، «والشرطي والبوليس»، والهاتف والتلفون ، و « البرق والتلغراف » ، و « المحرك والموتور » ، و « الكهيرب والالكترون » . وهذا التعايش ليس غريبا على اللغة التي تعودت ان تجمع للمسمى الواحد عشرات الأسماء .

---

(8) 107 ، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع ـ المجلد السادس ـ القاهرة 1964 .
(9) ص 94 ، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع ـ المجلد السادس القاهرة 1964 .
(10) ص 9 مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع ـ المجلد العاشر ، القاهرة 1968 .

ويحدث فى حياة الالفاظ والمصطلحات احيانا طفرات يتحول معها معنى اللفظة عن وجه استعمالها القديم الى استعمال آخر جديد فالسيارة اليوم غير السيارة (القافلة) بالأمس ، وهكذا الدبابة والمسدس والذرة والجرثومة والعنصر والهاتف والصاروخ والطائرة والمكتب والمحافظة والمصنع وآلاف الالفاظ الأخرى التي تحول معناها عن المعنى الذي كان مألوفا للجاحظ او لابن المقفع مثلا . وهذا التحول امر عرفته العربية دائما فمع ظهور الاسلام تحولت مئات الالفاظ كالصلاة والزكاة والجهاد ... والايمان والكفر ... والجنة والنار عن معانيها المألوفة الى معان جديدة كذلك استعمل النحويون الفاظا عديدة كالرفع والجر والنصب والضم ... والاسناد وسواها على غير المألوف من معانيها ، ومثل هذا حدث ويحدث دائما فى مصطلحات العلم والفلسفة والأخلاق والفنون ، ولا غرابة فى ذلك فنحن نشهد مثل هذا التحول فى كل احوالنا المعيشية والفكرية والاجتماعية والحضارية . وقد يحدث هذا التحول على مدى طويل كما كانت عليه الحال فى الماضي ، او قد يحدث فى وقت قصير نسبيا كما هي الحال اليوم . لقد لاحظت مثلا ان المعجم الوسيط (الذي لم يمض على صدوره عن مجمع اللغة العربية فى القاهرة عشر سنوات) يذكر مثلا من معاني كلمة « المنظار » (11) : « المرآة » و « الميكروسكوب » و « التلسكوب » ويمثل على معنى اللفظة بصورة منظار ميدان ، وهذا الأخير هو المسمى الوحيد من هذه المسميات الأربعة الذي يغلب عليه لفظ « المنظار » اليوم . كذلك فى معنى « المجبر » يذكر المعجم نفسه ان « المجهر » هو « المجهار » والمجهار من يجهر بكلامه عادة او « جهاز تصدر عنه ذبذبات كهربائية » (وهو المعروف بالمكروفون) (12) . ويذكر المعجم فى مكان آخر ان « المجهر » هو « الميكروسكوب » (13) لكن الاستعمال غربل هذه الالفاظ التي هي فى أصلها مادة واحدة ، فميز « مجهر » لمعنى « ميكروسكوب » وخص « مجهار » بمعنى « ميكروفون » وصار استعمال « مجهار » لمن يجهر بصوته عادة استعمالا مجازيا فقط على سبيل التشبيه بالمكروفون .

قديما كان التطور فى اللغة الفصحى وئيدا لان اللغة الفصحى كانت لغة الخاصة ، أما اليوم فقد ازداد عدد المثقفين زيادة ضخمة حتى ان اللغة الفصحى اضحت الى حد لغة الجميع كتابة وقراءة وسماعا ، ففي كل عام تزداد دور العلم ويزداد عدد المتخرجين منها والوافدين اليها ويتوسع نطاق النشر ويتضاعف عدد القراء ، وفى كل يوم تزداد وسائل الاعلام قوة وانتشارا . وبوجود الترانزستور وكثرة دور الاذاعة تمتلىء اسماع الناس باللغة الفصحى (او القريبة من الفصحى) حتى بدانا نلحظ ان لغة الرجل العادي اليوم اقرب الى اللغة الفصحى من لغة الرجل العادي بالأمس القريب ، كذلك صرنا لا نستغرب ان تنتشر اللفظة او المصطلح على السنة الملايين فى الوطن العربي بين عشية وضحاها ، فما ان يذاع مثلا ان « محطة فضائية » روسية اخذت لها مدارا حول المريخ او ان جرما امريكيا فضائيا « هبط هبوطا هينا » على القمر حتى يجري مصطلحا « المحطة الفضائية » و « الهبوط الهين » على كل لسان فى كل بيت ونادٍ . وطبعا لن تنتظر وكالات الانباء ولا اصحاب الصحف ولا الناس العاديون فى كل مكان ما تقرره المجامع اللغوية بشأن صلاحية هذه المصطلحات او عدمها . وهذا يزيد من اهمية عمل المترجمين وواضعي المصطلحات من جهة ويضعهم امام الاختبار الجماهيري الفوري وامام مسئوليتهم نحو مستقبل اللغة من جهة ثانية ...

ان مهمة القيام بترجمة (او بتعريب) المصطلحات العلمية والفنية ، بل ان مهمة الترجمة بشكل عام ، ليست من الأمور التي يمكن لأي كان ان يقوم بأدائها — ورحم الله احمد فارس الشدياق اذ يقول :

ومن فاته التعريب لم يدر ما العنا
ولم يصل نار الحرب الا المحارب

الترجمة صناعة وفن ، واني اذ ادعو الى تجنيد المجهود الفردي فى مجابهة ذلك الفيض المتدفق من مصطلحات العلم والصناعة والتكنولوجية فانما ادعو ضمنا الى اعداد جيل من الاختصاصيين فى حقل الترجمة والتعريب وخاصة فى حقل الترجمة العلمية الفنية .

ان السبب الأهم الذي ادى الى فشل عملية الترجمة العلمية فى بداية القرن الحالي وخدم قضية

---

(11) ص 940 المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية — القاهرة 1961 .
(12) ص 143 ، المصدر السابق .
(13) ص 940 المصدر السابق .

الاجنبي في القول بعدم صلاحية اللغة العربية لتأدية العلوم الحديثة والتحول بالتالي الى تعليم المواد العلمية والفنية والتكنولوجية باللغات الأجنبية هو انعدام مثل هذا الجيل من الاختصاصيين ؛ والمؤسف انه لم تتوفر لدينا حتى اليوم الكفايات المنشودة لحمل اعباء التحدي الضخم الذي نواجهه في هذا المضمار .

ان الفنيين عندنا من مهندسين وصناعيين وكذلك المختصين في فروع العلم الحديث على اختلافهـا واكثرهم ممن درسوا في بلاد الغرب او تلقوا العلم بلغة اجنبية في احد البلاد العربية، مع احترامي البالغ لهم وتقديري لبراعتهم في حقول اختصاصهم ؛ يكـادون يجهلون قواعد اللغة القومية واصول الاشتقاق والقياس فيها ؛ حتى انك تكاد لا تميز الاختصاصي في علم مـن العلوم عن الرجل العادي اذا ما تكلمنا باللغة القومية . ان المهندس الانكليزي او الفرنسي او حتى الايراني او التركي او الاسرائيلي اذا ما تكلم او كتب احدهم باللغة القومية استطاع ان يتكلم او يكتب في مستوى يتناسب مع اختصاصه وثقافته ومستواه العلمي ، وهذا للأسف ما لا نستطيع قوله عن الفني العربي الاختصاصي في احد فروع الصناعة او التكنولوجية، حتى ولا عن الغالبية العظمى من مهندسينا وصناعيينا وفيزيائيينا وسواهم من اصحاب المهـن المتصلـة بأمور العلم والصناعة . والمترجم اذا ضعفت عنده احدى اللغتيـن كثـرت اساءته للترجمة وزادت الاساءة الى اللغة الضعيفـة عنده ـ وهي في حالة الفنيين عندنا ، اللغة القومية ـ والنظام التعليمي عندنا هو المسئول عن ذلك .

لقد خطت الترجمة الى اللغة القومية خطـوات ناجحة على ايدي فئة المثقفين الذين مكنهم اختصاصهم وجهدهم الشخصي من الحصول على نصيب وافر من علوم اللغة والتضلع من اصولها وقواعدها ، اعني فئة الصحافيين والمحامين والأدباء وهؤلاء بطبيعة الحال لم يقبلوا على الترجمات العلمية بل وجهوا جل مجهودهم نحو الترجمات الأدبية والقصصية والاجتماعية فأبدع من بينهم الكثيرون ؛ اما الترجمة الفنيـة العلميـة والتكنولوجية فقد ظلت قاصرة عن بلـوغ المستـوى المقبول فنيا ولغويا ـ فكان ذلك تكريـسا غير مقصـود لفكرة عدم صلاحية اللغة القومية لتأدية العلوم الحديثة والفنون والصناعة والتكنولوجية .

ان حاجتنا الى العناية الطبية المتطورة اوجدت الاطباء الاختصاصيين ؛ والحاجة الى الانشاء والتصميم اوجدت المهندسين على شتى اختصاصاتهم وادى تطور الصناعة الى خلق جيل من الفنيين والصناعيين يسرنا ان نراهم في ازدياد مطرد ؛ لكن الأمر الذي يلفت النظر هو اننا مع حاجتنا الماسة الى الاختصاصيـن فـي الترجمة العلمية والفنية لم نتحـرك جديـا على أي مستوى لمواجهة هذه الاحتياجات .

ان لبنان ملتقى الحضارات ، هو البلد المؤهل للقيام بحركة فاعلة في هذا السبيل ، وجامعات لبنان (خاصة الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القديس يوسف) تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا المضمار . واني لأتمنى على الجامعة الأمريكية في بيروت وهـي السباقة في مجالات التربية والثقافة ان تضع برنامج دراسة لاعداد اختصاصيين في الترجمة (على غـرار برنامج في ادارة الأعمال الذي انشأتـه في مطلع الخمسينات) يمنح الطلاب في نهايته درجة في الترجمة العلمية او الأدبية تبعا لاستعداد الطالـب شرط ان تكون شروط الانتساب الى هـذا الفـرع شهادة البكالوريوس في الآداب او شهادة البكالوريوس في العلوم ، ويرتب للمنتسبين في هذا الفرع برنامج دراسي من سنتين يتلقون فيه دراسة مكثفة في اصول اللغتين ـ المنقول عنها والمنقول اليها ـ وآدابهمـا وقواعد القياس والاشتقاق فيهما ، ويطلعـون علـى الترجمات الممتازة للروائع التي نقلت من احداهما الى الأخرى ويدرسـون دراسة مقارنـة المرادفـات والمصطلحات التي وضعتها المجامع العربية واصحاب المعاجم ورواد الترجمة في عصر النهضة قديما وحديثا، بالاضافة الى ما يراه المشرفون على هذا البرنامج مـن مستلزمات الكفاءة لهذا الاختصاص المتشعب النواحي.

ان خلق مثل هذا الجيل من الاختصاصيين في الترجمة الفنية والعلمية والأدبية سيجعل التحول نحو تعريب التعليم في شتى الحقول العلمية والصناعيـة امرا عمليا سهلا وسيزود المؤسسات الصناعية والنفطية والمصالح الحكومية والخاصة ومحطات الاذاعة ودور النشر في شتى انحاء الوطن العربي بخبراء في الترجمة يستطيعون ان يقدمـوا في حقـول اختصاصهـم مصطلحات عالية المستوى محددة المدلـول وبذلـك يساهمون بجعل اللغة القومية مرآة صادقة للمستوى الحضاري الذي بدأنا نعيشه والذي نريد ان تواكبنـا لغتنا فيه ، والله الموفق !